

الدرس الصوتي عند الخليل بن أحمد الفراهيدي في ضوء علم اللغة الحديث

The phonetic lesson for Alhkalil bin Ahmed Al-Farahidi in the light of modern linguistics

أ/ إيمان سيدي موسى ، أ د/ مُجَدِّ العبد رتيمة

¹ جامعة الجزائر 02 / s.imane85@yahoo.com

² جامعة الجزائر 02 / dr.retima@gmail.com

تاريخ النشر. 2021./ 04../15	تاريخ القبول 2021./03../ 29	تاريخ الارسال. 2020 / 05 / 02
Abstract		الملخص
<p>This article deals with the basics of the phonetic lesson for Alhkalilin the light of what the ancients and modern westerners came in this field. We learned about the terms that Alhkalil came in defining the sound outputs and some traits, indicating the features of the approach followed, and we also stood on the contributions of the Indians and Greece in the field of phonology. On the other hand, we showed the efforts of Arab and Western modernizers and their contributions to the audio lesson, especially what the modernizers came from the West, such as: Trubtskoy and Jacobson in their identification of phoneme, its characteristics, and the characteristics that distinguish between phonemes and their functions, focusing on the phonetic</p>		<p>ملخص: يعالج هذا المقال أساسيات الدرس الصوتي عند الخليل في ضوء ما جاء به الغربيون المتقدمون والمحدثون في هذا المجال، فوقفنا على المصطلحات التي جاء بها الخليل في تحديده لمخارج الأصوات وبعض الصفات مبينين سمات المنهج المتبع، كما وقفنا على إسهامات الهنود واليونان في مجال علم الأصوات، وفي مقابل هذا بينا جهود المحدثين من عرب وغرب وإسهاماتهم في الدرس الصوتي خاصة ما جاء به المحدثون من الغرب من أمثال: تروبتسكوي وجاكبسون في تحديدهم للفونيم وخصائصه والسمات التي تفرق بين الفونيمات ووظائفها مركزين على موقع الدرس الصوتي عند الخليل من هذه الدراسات من خلال كتابه العين</p>

lesson site for Alhkalil from these studies through his book Alaeen.	
phonetics, sounds :Keywords output, sounds attributes, phoneme.	كلمات مفتاحية: علم الأصوات؛ مخارج الأصوات؛ صفات الأصوات؛ الفونيم

المؤلف المرسل: أ/ إيمان سيدي موسى، الإيميل: s.imane85@yahoo.com

1. مقدمة:

اهتم علماء اللغة العرب والغرب بالمستوى الصوتي اهتماما كبيرا كونه يمثل الأساس الذي تبنى عليه كل لغة فحددوا معالمة وأسسها كل حسب الإمكانيات المتوفرة لديه، وكانت المبادرة للهنود الذين فصلوا في حيشيات هذا العلم من تحديدهم للمخارج والمصطلحات المتعلقة بعلم الأصوات.

أما عند العرب فكانت المبادرة للخليل بن أحمد الفراهيدي من خلال معجمه العين الذي أسس فيه مبادئ علم الأصوات عند العرب فحدد مخارج الأصوات وبعض صفاتها وذلك بالاعتماد على منهجه في كتاب العين الذي بناه على أساس صوتي، حيث كره أن يبتدئ بالألف باء تاء... لأنه بعد تمنع وتدبر وجد أن مرد الأصوات كلها إلى الحلق وأن أدخل وأنصع صوت فيها هو العين فبنى كتابه عليه، كما أنه حدد معالم هذا العلم مبينا المخارج والظواهر الصوتية المختلفة.

لكن هذا العلم لم يقف عند الخليل وإنما تلتها مجموعة من الدراسات في مجال الأصوات من لغويين وعلماء القراءات من أمثال سيبويه وابن جني وابن الجزري وغيرهم، وتوالت الدراسات في علم الأصوات حتى طالعنا المحدثون بجهود متفرقة في هذا المجال من دارسين عرب وغرب، فنجد من العرب أمثال إبراهيم أنيس وأحمد مختار عمر وكمال بشر حيث عمل هؤلاء على استحداث فروع جديدة لعلم الأصوات وفقا للتطورات العلمية

والتكنولوجية كعلم الأصوات الأكوستيكي والفيزيائي وغيرها وذلك باعتمادهم على الآلات والأجهزة في تحديد المخارج وقياس شدة الصوت إلى غير ذلك من المباحث الصوتية الحديثة.

أما الغرب فانقسموا على أنفسهم مدارس اختصت كل مدرسة بمستوى معين من مستويات اللغة، فنجد أصحاب حلقة براغ أولوا اهتمامهم بالجانب الصوتي واعتمد هؤلاء بدورهم على الآلات والأجهزة في تحديدهم للمخارج وكذا الصفات والفروق الدقيقة بين بعض الأصوات نذكر من أعلامهم جاكبسون وتروبتسكوي فكان لكل منهما نظرية في ميدان علم الأصوات، وعلى إثر هذا ارتأينا البحث في هذا المجال فانطلقنا من إشكالية مفادها: ما هي أسس علم الأصوات عند الخليل بن أحمد الفراهيدي؟ وما موقع الدرس الصوتي عند الخليل من علم اللغة الحديث؟ وسنحاول في هذا المقال بيان أسس الدرس الصوتي عند الخليل في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة خاصة الغربية منها.

2- الدرس الصوتي عند غير العرب:

2-1 الدرس الصوتي عند الهنود:

يعد الهنود من أقدم الأمم التي اهتمت بالبحث اللساني من جميع مستوياته وذلك لأن اللغة عندهم لها مكانة كبيرة كونها متعلقة بكتابهم المقدس الفيدا والمتمثلة في اللغة السنسكريتية، فنجد المتقدمين من الهنود اهتموا بالبحث اللساني من الناحية الصوتية والنحوية وحتى المعجمية حيث كان لهم السبق أيضا في البحث المعجمي، لكن تركيزهم كان على المستوى الصوتي لأن إتقان هذا المستوى هو إتقان لتأدية الشعائر المتعلقة بكتابهم المقدس وارتبطت البحوث والدراسات في هذا المستوى بالجانب النحوي حيث نجد علماءهم يؤكدون على إتقان النطق الصحيح للكلمات حفاظا على نصوص الفيدا ومنهم باتنجالي الذي يرى " أن الشخص الذي ينطق نصوص ال veda بطريقة صحيحة كلمة كلمة ونبرا نبرا ومقطعا مقطعا حقيق بأن يقف في مقام الفداء أمام الرب ويقدم القرابين له."¹

وعليه فإن باتنجالي حريص كل الحرص على التأدية الصحيحة للكلمات لارتباطها بكتابهم المقدس فتأديتهم الصحيحة تساهم في التقرب من الرب ونيل الرضى، حيث ركز على الجانب الصوتي لأهميته في حدوث الفهم الصحيح للنص المقدس.

ويرى الهنود أن الكلام كله يعتمد على " سي بقرارا" أي النفس المحدث للصوت أو بالأصح الهواء الحامل للصوت- صوت الحلق- وهو عندهم بمنزلة أصوات الحركات وحروف المد عندنا، إلا أن هذا النفس الصائت لا يبقى في الكلام على حالة واحدة فإذا نفذ إلى التجاويف التي فوق الحنجرة تغير بسبب ما يحدث في مختلف الأماكن من ضغط عضو على عضو وهذا يسمونه سلبوسا (التماس و ضغط) وينسب حينئذ الصوت الناتج عن هذا الضغط إلى المكان الذي حدث فيه وهكذا قسموا حروفهم إلى كانتهيا = حلقي وتلا = فيها =حنكي وموردهانيا= دماغية (بتقييس اللسان أي إدخال ظهره ورفع طرفه إلى وسط الحنك) ودانتيا =أسناني وأوستهيا=شفوي..²

وبهذا نجد الهنود يركزون على الأعضاء والأجهزة التي تساهم في عملية النطق فأرجعوا مبدأ الحروف من الحلق حيث بدأوا من الحلق ثم تدرجوا في جهاز النطق حتى وصلوا إلى الشفتين، كما ركزوا على النفس لما لأجهزة التنفس من أهمية في عملية النطق.

كما نجد تقسيما آخر لبانيني حيث قسم مخارج الأصوات إلى " الحلق throat والحنك palate والرأس head والأسنان teeth والشفتين lips والأنف nose وقد توصل بانيني كذلك إلى حقيقة ان بعض الأصوات تطرأ لها صفة الأنفية nasalization وذلك مثل أصوات العلة إذا تسرب الهواء معها من الأنف.³ ومن هنا نجد أن بانيني في تحديده لمخارج الأصوات كان دقيقا جدا حيث أنه نسب كل صوت إلى مخرجه مشيرا في ذلك إلى أن بعض الأصوات يكون مخرجها من الأنف.

ولم يكتف الهنود بتحديد المخارج وإنما أشاروا إلى بعض الصفات واهتموا بالمقطع وكيفية تحديده حيث رأوا أن "هناك قواعد تفصيلية تحكم التجمعات الآتية: راء + انفجاري مضعف، انفجاري + احتكاكي، ساكن + نصف علة، نصف علة + نصف علة... وغير ذلك كذلك وضع الهنود مقاييس لتقدير كمية المقطع على النحو التالي: العلة القصيرة تكون مقطعا قصيرا، ولكن علة قصيرة مع ساكن يكونان مقطعا أطول، العلة القصيرة قبل مجموع ساكن consonant - group تكون مقطعا طويلا، القاعدة الأساسية في الكمية المقطعية هي مدى الاستمرارية duration وقد أشار إلى هذا Rg Prat الذي قال أن العلة الطويلة مقطع طويل ولكن المقطع يصير أطول إذا تلاه ساكن، والعبرة في الطول والقصر ليست الكتابة ولكن النطق، كما عُتُو بالنبر حيث اعتبروا النبر ليس من خصائص السواكن وإنما من خصائص العلل.⁴

وعليه فإن الهنود كانت لهم إسهامات قيمة في الدراسات الصوتية خاصة أنها ارتبطت بلغتهم السنسكريتية وهي لغة كتابهم المقدس الفيدا، أما عن مجوهرات الصوتية فنجدها تنسم بالدقة خاصة إذا عدنا إلى الحقبة الزمنية المتوعدة في القدم وهي فترة ما قبل الميلاد حيث أنهم حددوا مخارج الأصوات تحديدا دقيقا وذلك حسب تدرجها في الجهاز الصوتي، كما أنهم حددوا الصفات التي تتميز بها الأصوات بعضها عن بعض كما اهتموا بالظواهر الصوتية المقطعية والفوق مقطعية كالنبر، والمتأمل في البحوث الصوتية الهندية يجدهم حددوا المصطلحات الصوتية تحديدا دقيقا حيث أنها تتقاطع في كثير من جوانبها مع الدرس الصوتي الحديث وتبقى جهودهم الصوتية مرتبطة ببيئتهم وكتابهم المقدس وهذا ما يمثل خصوصية البحث الصوتي، فالقوانين الصوتية عندهم حتى وإن التفت في كثير من جوانبها مع الدرس اللساني العربي والغربي القديم والحديث إلا أنها تبقى جهودا لها علاقة وطيدة مع خصوصية البحث اللساني الهندي.

2-2 الدرس الصوتي عند اليونان:

اهتم اليونانيون كثيرهم من الأمم بالدراسات اللسانية حيث ارتبطت دراساتهم اللسانية بالفلسفة كونها تمثل الإطار العام الذي يجمع العلوم كلها، مما أصبغ دراستهم بالصبغة الجدلية فنجد اليونانيين " استعاروا من الفينيقين كتابتهم الهجائية إلا أن لغتهم هي من الفصيحة الهندوأوروبية فلا يركز نظامها في بناء أصول كلماتها كما هو معروف على الحروف الجوامد consones وحدها مثل اللغات السامية بل تحتاج زيادة على الجوامد إلى الحروف المصوتة voyelles وسبب ذلك هو عدم استقرار حروفها الجامدة على حالة واحدة في تصاريف الكلمة واشتقاقاتها بخلاف اللغات السامية."⁵

وبالتالي نجد الأبجدية اليونانية لم تكن أصلية وإنما تم إنشاؤها بشكل معدل للكتابة الفينيقية حيث أنهم

استعاروا الصوامت ثم أضافوا إليها الصوائت لأن الصوامت على حسب اليونانيين لا تفي بالغرض لأنها معرضة للتغير والتبدل.

أما بالنسبة للبحث اللساني فقد كانت بدايته الفعلية مع سقراط والبلاغيين الأوائل فاهتموا بقضايا لغوية كثيرة كقضية نشأة اللغة وقضية الاشتقاق وغيرها كما أنهم أولوا عناية بالظواهر الصوتية المتعلقة بلغتهم حيث " عاجلوا بشيء يشبه الدقة العلمية الحديثة الوحدات الفونولوجية كالمقطع والفونيم وارتكز وصفهم على أبجديتهم الخاصة في حين أهملوا اللغات الأخرى إهمالهم للشعوب الناطقة بها والمثير في دراستهم الصرفية تعرفهم على الفروق الصوتية بين

أصوات لغتهم أو ما يعرف اليوم بالألفونات، أما أفلاطون فقد تمثلت مساعيه في تمييز أنواع من الفونيمات هي الصوائت في مقابل الصوامت - وهذه الأخيرة - منها الوقفي والاستمراري والصوامت الوقفية لا يمكن نطقها دون صوت صائت مجاور، كما كان على وعي بالفروقات الدلالية الناتجة عن اختلاف مواضع النبر في الكلمة الواحدة... ويتزايد الاهتمام الصوتي عند الرواقيين من خلال معالجتهم الظاهرة المقطعية والنبر في اللغة اليونانية...⁶ وبهذا يكون اليونانيون قد رسموا حدود الدراسة الصوتية للغة اليونانية حيث ميزوا بين نوعين من الفونيمات الصوامت في مقابل الصوائت، كما كانوا على اهتمام كبير بالمعاني الناتجة عن ظاهرتي النبر والتنغيم، فدراستهم لم تنحصر في الجانب الفيزيائي والفيزيولوجي وإنما ركزوا على المعاني المترتبة من الاستبدال الذي يحدث بين الأصوات، وبهذا تكون دراستهم الصوتية قد تميزت بنوع من الدقة. واهتمام اليونانيين بالجانب الصوتي للغة اليونانية كونها تمثل اللبنة الأولى التي تبنى عليها الدراسة الصرفية والنحوية، وقد تركزت الدراسة الصوتية على اللغة اليونانية دون غيرها حيث لم يهتموا بدراسة اللغات الأخرى فدراستهم كانت في نطاق محدود ولم تكن موسعة كما كانت عند الهنود.

3- الدرس الصوتي عند العرب:

3-1 عند الخليل:

سبق العرب في الدراسة اللسانية من الهنود واليونان حيث حدد هؤلاء معالم الدراسة اللسانية للغاتهم خاصة ما تعلق بالمستوى الصوتي، وكان للعرب إسهامات في الدراسة اللسانية العربية بمختلف مستوياتها حيث يعد الخليل بن أحمد الفراهيدي أول من حدد معالم الدرس الصوتي العربي من خلال معجمه العين الذي بناه على أساس صوتي، كما كان لعلماء القراءات إسهامات في الدرس الصوتي لما له من أهمية في القراءة الصحيحة للنص القرآني ومن إسهامات الخليل بن أحمد الفراهيدي في الدرس الصوتي ما يلي:

أ- تحديده لمخارج الأصوات:

أشار الخليل في كتابه العين إلى مخارج الحروف وبعض صفاتها وتحديده هذا كان في معجم العين لكونه مرتب على أساس صوتي حيث علل سبب ابتدائه بالعين بقوله: " هذا ما ألفه الخليل بن أحمد البصري من ا، ب، ت، ث... فأعمل فكره فلم يمكنه أن يبتدئ التأليف من أول ا، ب، ت، ث وهو الألف لأن الألف حرف معتل فلما فاته الحرف الأول كره أن يبتدئ بالثاني وهو الباء إلا بعد حجة واستقصاء النظر فدبر ونظر إلى الحروف كلها

وذاقها فوجد مخرج الكلام كله من الحلق فصير أولها بالابتداء أدخل حرف منها في الحلق وإنما كان ذواقه إياها أنه كان يفتح فاه بالألف ثم يظهر الحرف نحو أب، أث، أخ، أع، أغ فوجد العين أدخل الحروف في الحلق فجعلها أول الكتاب.⁷

وبهذه الطريقة حدد الخليل مخارج الأصوات متتبعا تدرجها في جهاز النطق فوجد أن العين أنصعها وأدخلها فبنى عليه معجمه، ورأى الخليل أن " في العربية تسعة وعشرون حرفا منها خمسة وعشرون حرفا لها أحياء ومدارج وأربعة جوف وهي الواو والياء والألف اللينة والهمزة وسميت جوفاً لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان ولا من مدارج الحلق ولا من مدارج اللهاة إنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف وكان يقول كثيراً الألف اللينة والواو والياء هوائية أي أنها في الهواء.⁸

ومن خلال ما سبق نجد الخليل قد حدد أصوات العربية بتسعة وعشرين صوتاً مبيناً الأصوات الصامتة والتي حددها بخمسة وعشرين صوتاً لها أحياء ومدارج، والأصوات الصائتة وهي أربعة أصوات هوائية ليس لها أحياء ومدارج وتحديده هذا فيه نوع من الدقة العلمية وهذا استناداً إلى الإمكانيات المتوفرة لديه في تلك الفترة المتقدمة. وقد رتب الخليل مخارج الأصوات بحسب تدرجها في جهاز النطق حيث قال: " فأقصى الحروف كلها العين ثم الحاء ولولا بحة في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من الغين ثم الهاء ولولا هتة في الهاء لأشبهت الحاء لقرب مخرج الهاء من الحاء فهذه ثلاثة أحرف في حيز واحد بعضها أرفع من بعض ثم الحاء والغين في حيز واحد كلهن حلقية ثم القاف والكاف لهويتان والكاف أرفع ثم الجيم والشين والضاد في حيز واحد، ثم الصاد والسين والزاء في حيز واحد ثم الطاء والذال والتاء في حيز واحد ثم الظاء والذال والتاء في حيز واحد ثم الراء واللام والنون في حيز واحد ثم الفاء والباء والميم في حيز واحد ثم الألف والواو والياء في حيز واحد والهمزة في الهواء لم يكن لها حيز تنسب إليه.⁹

وبهذا يكون الخليل قد حدد مخارج الأصوات على حسب ترتيبها في جهاز النطق حيث جمع الأصوات المتحدة المخرج في حيز واحد ابتداء من الحلق وصولاً إلى الشفتين، وبهذا يكون تحديد الخليل لهذه المخارج دقيقاً إلى حد ما وهذا حسب البيئة التي كان يعيش بها وبالرغم من هذا نجد كثيراً من الذين جاؤوا بعده تابعوه في كثير من مخارج الأصوات مع وجود بعض الاختلاف مما يدل على قيمة النتائج التي توصل إليها الخليل في هذا المجال.

ب- تحديده للصفات:

تطرق الخليل في معجمه إلى تحديد بعض الصفات المتعلقة بالأصوات حيث قال: " فأقصى الحروف كلها العين ثم الحاء ولولا بحة في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من العين ثم الهاء ولولا هتة في الهاء لأشبهت الحاء...¹⁰ ومن هنا نجد الخليل يشير إلى الفارق بين العين والحاء وهو فارق رفيع يتمثل في البحة التي في الحاء والهتة التي في الهاء وهذا لاتحادهما في المخرج، وقال في موضع آخر: "... فإذا كان البناء اسما لزمته السين أو الدال مع لزوم العين أو القاف، لأن الدال لانته عن صلابة الطاء وكزازتها وارتفعت عن خفوات التاء فحسنت وصارت حال السين بين مخرج الصاد والزاي كذلك..."¹¹ وقال أيضا: " كان الخليل يسمي الميم مطبقة لأنها تطبق الفم إذا نطق بها."¹²

وبهذا يكون الخليل قد حدد بعض الصفات المتعلقة ببعض الأصوات حين أشار إلى مخارج الأصوات خاصة بين الأصوات المتحدة المخرج والتي يوجد بينها تقارب شديد، لجأ الخليل إلى إثبات الفروق بين الصوتين استنادا إلى الصفات التي تتعلق بالأصوات، فالأصوات المتحدة المخرج أو الأحياز والمدارج كما سماها هو لا يمكن الفصل والتفريق بينها إلا من خلال الصفات التي تتميز بها الأصوات.

وقد أشار الخليل في معجمه إلى بعض القضايا الصوتية غير المخارج والصفات إلى قضايا أخرى كالإعلال والإدغام والإبدال وغيرها، كما بين المصطلحات المتعلقة بالمخارج وبعض الصفات ومن المصطلحات التي أقرها الخليل فيما يتعلق بالمخارج أقصى الحلق والشفة واللهاة وغيرها.

ولم يقف الدرس الصوتي عند الخليل بل كان له أثر على من جاء بعده من أمثال سيبويه الذي خصص بابا في الكتاب بالبحث الصوتي فأشار إلى مخارج الأصوات وكيفية ترتيبها في جهاز النطق، كما بين صفات كل صوت من أصوات العربية¹³ ، وابن جني الذي خصص كتاب سر صناعة الإعراب للبحث الصوتي العربي حيث حدد معالم البحث الصوتي من مخارج وصفات تحديدا دقيقا¹⁴ والملاحظ هو وجود اتفاق في كثير من المصطلحات مع الخليل إلا أننا نلمس بعض الاختلاف في تحديد كل من سيبويه وابن جني مع الخليل لبعض المخارج والصفات وكذا المصطلحات المتعلقة بهما، كما نجد ابن سينا في رسالته أسباب حدوث الحروف أشار إلى مخارج الحروف وبعض صفاتها حيث أضفى عليها تكوينه في مجال الطب الذي كان ظاهرا على المصطلحات التي استعملها¹⁵ ،

كما نجد ابن الجزري من علماء القراءات الذي كان على اهتمام بعلم الأصوات من خلال كتابه النشر في القراءات العشر وغير هؤلاء كثيرون ممن كان لهم إسهام في الدرس الصوتي العربي وهذا لأهميته في الدرس اللساني العربي.

4- الدرس الصوتي عند المحدثين:

4-1 عند الغرب:

مر الدرس الصوتي عند الغربيين بتطورات مختلفة تماشى والتطورات العلمية والتكنولوجية التي كان لها تأثير كبير على هذا المستوي من الدراسة خاصة في العصر الحديث، حيث نجد سوسور ركز في دراسته اللسانية على الجانب المنطوق وأعطاه الأولوية في الدراسة اللسانية ثم توالت الدراسات بعده وتشكلت المدارس اللسانية فكان منها من اهتم بالمستوى الصوتي ونظر له من خلال نظريات فونولوجية، ومن المدارس التي اهتمت بهذا المستوى نذكر حلقة براغ التي استقطبت العديد من الدارسين الذين ساهموا في تطوير الفكر الصوتي الغربي حيث سنقف على علمين من روادها كان لهما دور كبير في الصوتيات الغربية.

4-1-1 إسهامات تروبتسكوي الصوتية:

ركز تروبتسكوي على المستوى الصوتي في دراسته اللسانية حيث حاول أن يضع قوانين تحكم هذا المستوى، كما بحث في الوظيفة التي يمكن للأصوات ان تؤديها في السلسلة الكلامية فحدد مفهوم الفونيم بقوله: " الفونيم هو أولا وقبل كل شيء مفهوم وظيفي وهو كذلك الوحدة الفونولوجية التي لاتقبل التجزئ إلى وحدات فونولوجية أخرى أصغر منها في لغة معينة.¹⁶

وبهذا يكون تحديده للفونيم بأنه أصغر وحدة يمكن أن يصل إليها التحليل اللساني، وفي هذا اشتراك مع دارسين كثر من أمثال الهنود والعرب مع اختلاف المصطلح خاصة مع المتقدمين لكننا نجد اتفاقا مع العرب المحدثين من أمثال كمال بشر.

كما نجد تروبتسكوي ميز بين نوعين من الدراسة الصوتية حيث أطلق على "الأول الفونيتيك وعلى الثاني الفونولوجيا، كما حدد مجموعة من التضادات القائمة بين الفونيمات مركزا على الوظائف التي تنتج عنها ومن هذه التضادات: التضاد الثنائي والتضاد السالب والتدرجي والتضاد المتكافئ وغيرها.¹⁷

ومن خلال ما سبق نجد تروبتسكوي ركز على الجانب الوظيفي بين الأصوات في السلسلة الكلامية حيث اعتمد على الوصف الدقيق للأصوات وما يميزها مبينا الفروق الدقيقة بينها، وهي من سمات المنهج العلمي الذي يشترك

مع ما قدمه الخليل في كتابه العين حيث حدد الأصوات تحديدا دقيقا مبينا الفروق بينها خاصة على مستوى المفردة وذلك وفق ما أتيح له من إمكانيات، فقد رتبها بحسب تدرجها في جهاز النطق ووفق إلى حد بعيد في ترتيبه حيث أن الذين جاؤوا بعده وافقوه في معظم المخارج.

4-1-2 إسهامات جاكبسون:

اهتم جاكبسون هو الآخر بالمستوى الصوتي فكانت جل مؤلفاته متعلقة بهذا المجال حيث " أعطى أهمية لدراسة الخصائص المشتركة بين الأنظمة اللسانية في المجال الفونولوجي بعد لحظ الاختلافات الممكنة والقيام بحصرها ثم ضبطها وفق التضاد القائم بينها على المستويين السمعي والنطقي التي هدته إلى فكرة الملامح المميزة التي يقصد بها مجموعة الخصائص الصوتية التي تميز فونيميا عن آخر وعليه فمفهوم الفونيم عنده هو مجموعة من الملامح المميزة التي تنبع من الخصائص النطقية والسمعية وتحدد كل صوت من أصوات اللغة.¹⁸

وفي تحديد جاكبسون للفونيم نجد على الفروق التي تحدث بين الفونيمات وهذا ما يظهر على مستوى المفردة، فباختلاف الفونيم تختلف الوظيفة فلولا الاختلاف لما كان هناك تنوع لا في الأصوات ولا في المفردات. وجاكبسون لم يقف عند هذا فحسب وإنما استخلص من فكرة الملامح المميزة تنظيما فونولوجيا كليا صالحا لكل اللغات الإنسانية حيث " يحتوي على اثني عشر سمة ثنائية سمعية وهذه السمات هي: (مجهور/ مهموس) ، (غليظ/ حاد) ، (رخو/ شديد)، (صائت/ صامت)، (شفهي/ غني) ...¹⁹

وعليه نجد جاكبسون قد حدد الفونيم مركزا في ذلك على الخصائص التمييزية للفونيمات فيما بينها وما يمكن أن تحدثه على مستوى المفردة، حيث استعان بالآلات والأجهزة الحديثة ليوقف على الفروق الدقيقة بين الفونيمات وهذا ما أوصله إلى تحديد ثنائيات تضادية بين الفونيمات حصرها في اثني عشرة سمة، فالخليل بن أحمد الفراهيدي كان قد توصل إلى تحديد بعض هذه السمات في كتابه العين مما ميز منهجه بالسمة العلمية خاصة فيما تعلق بالمخارج وبعض الصفات مع وجود اختلاف في المصطلحات وهذا تحديد دقيق مقارنة بما توصل إليه المحدثون من غرب وعرب وهذا ما بيناه عند كل من جاكبسون وتروبتسكوي حيث سبق هؤلاء في الدراسة الصوتية من الهنود والعرب الذين حددوا معالم الدرس الصوتي منذ آلاف السنين حيث توصلوا إلى نتائج مذهلة في علم الأصوات بالرغم من الإمكانيات البسيطة المتوفرة لديهم، وفي مقابل هذا نجد المحدثين من غرب توصلوا إلى نتائج متقاربة في علم الأصوات وذلك باستعانتهم بالأجهزة الحديثة لإثبات النتائج المتوصل إليها في هذا المجال.

4-2 عند العرب:

اهتم العرب المحدثون بالمستوى الصوتي فاستثمروا الجهود اللغوية للمتقدمين في هذا المجال خاصة ما جاء به الخليل وسيبويه وابن جني وعلماء القراءات، لكنهم أضافوا بعض الأعضاء التي رأوا بأنها تسهم في إحداث الأصوات وهذا بالاعتماد على الدراسات الحديثة والأجهزة الحديثة بحيث أضافوا فروعاً جديدة لعلم الأصوات كعلم الأصوات الفيزيائي والسمعي وغيرهما، وسنقف على بعض النماذج الحديثة بغية التطرق إلى المستجدات التي جاؤوا بها.

4-2-1 درس الصوتي عند إبراهيم أنيس:

أشار إبراهيم أنيس إلى أعضاء النطق التي لها إسهام في عملية نطق الأصوات فحددها كالآتي: "القصبة الهوائية والحنجرة ومكوناتها... الحلق واللسان... الحنك الأعلى وأقسامه كالأسنان وأصولها ووسط الحنك ثم أقصى الحنك... ثم اللهاة والفراغ الأنفي... والرتان".²⁰

وبالتالي نجد إبراهيم أنيس قد حدد مخارج الأصوات والأعضاء التي تسهم في عملية النطق حيث أنه اضاف أعضاء لم يذكرها الخليل وأتباعه كالقصبة الهوائية والرتين لما لهما من أثر في عملية النطق بالأصوات. كما تطرق إبراهيم أنيس للصفات التي تتميز بها الأصوات بعضها عن بعض " فحدد الأصوات المجهورة والمهموسة والأصوات الشديدة والرخوة".²¹

وبهذا التحديد نجد إبراهيم أنيس كان أكثر تحديدا للصفات من الخليل الذي أشار بدوره إلى بعض الصفات وهي التي حددناها سلفاً ومع هذا يعد إنجاز الخليل فاتحة الدراسات التي جاءت بعده في هذا المجال.

4-1-2 عند كمال بشر:

اهتم كمال بشر هو الآخر بعلم الأصوات فكان له إسهام في مجال الصوتيات وذلك من خلال مؤلفه " علم الأصوات" الذي وقف بدوره على فروع جديدة لعلم الأصوات فرضتها الظروف الجديدة والتطورات العلمية والتكنولوجية والأجهزة المستعملة في الميدان فنجد حده مخارج الأصوات حسب فئات أو مجموعات حسب مواضع النطق فابتدأها " بالأصوات الشفوية... ثم أصوات أسنانية شفوية وهي الفاء ثم أصوات ما بين الأسنان وهي الثاء والذال والطاء وأسنانية لثوية وهي التاء والذال والطاء واللام والنون ثم لثوية وهي الراء والزاي والسين والصاد وأصوات لثوية حنكية وهي الجيم الفصيحة والشين وأصوات وسط الحنك وهي الياء... وأصوات

أفصى الخنك وهي الخاء والغين والكاف والواو... وأصوات لهوية وهي القاف... وأصوات حلقيه وهي العين والحاء وأصوات حنجرية وهي الهمزة والهاء.²²

وكمال بشر في تقسيمه هذا اتبع فيه علماء التجويد حيث ابتدأه بطريقة عكسية من الشفتين إلى الحلق، كما نجده استعمل مصطلحات خالف بها من سبقوه من أمثال الخليل وسيبويه وابن جني وحتى المحدثين من أمثال إبراهيم أنيس حيث أنه لم يذكر الرتتين والقصبة الهوائية، كما أنه ركز على الصفات التي تتميز بها الأصوات العربية وهي صفات ذكرها المتقدمون من أمثال سيبويه وابن جني، وقد ربطها كمال بشر بالأوضاع التي تكون عليها الأوتار الصوتية ومن الصفات التي ركز عليها نذكر: "الجهر والهمس والشدّة والرخاوة... وإضافة إلى هذا حدد صفات أخرى باعتبار مرور الهواء فقسمها إلى وقفات احتكاكية ووقفات انفجارية والجانبية وغيرها من الصفات.²³

وبهذا يكون كمال بشر قد تفرد ببعض الصفات وهو في هذا متأثر بالغربيين تأثراً كبيراً، خاصة ما تعلق ببعض المصطلحات كمصطلح الفونيم والفونولوجيا وتمييزه بين الفونيتيك والفونولوجيا، كم اهتم بفروع علم الأصوات الأخرى كعلم الأصوات السمعي والفيزيائي وغيرها.

ومن خلال ما سبق نجد أن الدرس الصوتي عند الخليل قد تميز في كثير من جوانبه بمميزات المنهج العلمي الحديث، حيث وجدنا نوعاً من التداخل من ناحية المنهج خاصة ما تعلق بالمخارج وتحديد بعض الصفات وذلك بمراعاة خصوصية كل من اللسان العربي واللسان الغربي، فالخليل في تحديده للمخارج كان في كثير من الأحيان يشير إلى الفروق والاختلافات بين الأصوات كتحديد الفروق بين صوتي الطاء والتاء وغيرها. وبهذا يكون للخليل إسهام كبير في الدرس الصوتي العربي وذلك بتحديد معالنه وأسسها التي بنى عليها الدارسون بعده أفكارهم وآراءهم في علم الأصوات.

خاتمة:

وقفنا في ورقتنا البحثية هذه على أساسيات الدرس الصوتي عند الخليل ومن جاء بعده من متقدمين ومحدثين عرب وذلك في مقابل ما جاء به الغربيون المتقدمون والمحدثون في المجال، فوجدنا أن الخليل قد وضع حدود الدراسة الصوتية من خلال كتابه العين الذي حدد فيه مخارج الأصوات وبعض صفاتها للتمييز بين الأصوات المتحدة المخرج والمتماثلة في كثير من الصفات، وما لفت انتباهنا هو وجود بعض الاختلاف في المصطلحات التي استعملها الخليل مع الذين جاؤوا بعدهم أمثال سيويه وابن جني حيث أضاف كل منهما مصطلحات جديدة خاصة فيما تعلق بمخارج الأصوات وصفاتها.

وحين تطرقنا للدرس الصوتي عند الخليل وقابلناه مع الدرس الصوتي الغربي وجدنا أن الخليل طبق في دراسته الصوتية منهجا علميا يتقارب في كثير من جنباته مع المنهج المتبع عند المتقدمين من الهنود واليونان الذين برعوا في مجال علم الأصوات بتحديدهم لبعض المصطلحات كالنبر والفونيم اللذان حددهما الهنود، وعند المحدثين من أمثال جاكسون وترويتسكوي اللذين اعتمدا في بحثهما على الآلات والأجهزة الحديثة فاستحدثا فروعاً جديدة لعلم الأصوات فرضتها التطورات الحديثة على الصعيد العلمي والتكنولوجي، وتبعهم في ذلك المحدثون من العرب كأحمد عمر مختار وكمال بشر حيث ظهر تأثيرهما بالغرب في كثير من المصطلحات والمباحث الصوتية التي عالجوها. وبهذا يكون الخليل حدد مجال علم الأصوات بالاعتماد على ملامح المنهج العلمي المطبق عند المتقدمين والمحدثين من الغربيين وذلك وفق إمكانيات بسيطة أتاحتها له الفترة الزمنية التي عاش فيها.

الهوامش:

- 1 - مختار أحمد عمر، (1972)، البحث اللغوي عند الهنود وأثره على اللغويين العرب، دار الثقافة بيروت لبنان، ص: 46.
- 2 - صالح عبد الرحمان الحاج، (دت)، بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للنشر ، ص: 65.
- 3 - مختار أحمد عمر، البحث اللغوي عند الهنود وأثره على اللغويين العرب، ص: 48.
- 4 - المرجع نفسه، ص: 55-56.
- 5 - صالح عبد الرحمان الحاج، بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص: 69.
- 6 - بوقرة نعمان، (2009) اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث عمان، ط1، ص: 39-40.
- 7 - الفراهيدي الخليل بن أحمد، (دت)، كتاب العين، تح: إبراهيم السامرائي، مهدي المخزومي، دار الرشيد العراق، ج 1، ص: 47.
- 8 - المصدر نفسه، ج 1، ص: 57.
- 9 - المصدر نفسه، ج 1، ص: 57-58.
- 10 - المصدر نفسه، ج 1، ص: 57.
- 11 - المصدر نفسه، ج 1، ص: 53.
- 12 - المصدر نفسه، ج 1، ص: 57.
- 13 - ينظر سيبويه عثمان بن قنبر، (1982)، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، دار الرفاعي بالرياض مكتبة الخانجي القاهرة، ط2، ج 4، ص: 435-436.
- 14 - ينظر ابن جني أبو الفتح عثمان، (دت) سر صناعة الإعراب تح: حسن هنداي، دط، ج 1، ص: 46-47.
- 15 - ينظر ابن سينا أبو الحسين بن عبد الله، (دت)، رسالة أسباب حدوث الحروف تح: مُجَدِّ حسان الطيبان، يحيى سير علم، مطبوعة مجمع اللغة العربية بدمشق، دط، ص: 64 وما بعدها.
- 16 - مؤمن أحمد، (2002)، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، دط، ص: 142.
- 17 - ينظر المرجع نفسه، ص: 143-144.
- 18 - بوقرة نعمان، (2006)، محاضرات في المدارس اللسانية، منشورات جامعة باجي مختار عنابة، الجزائر، دط، ص: 108.
- 19 - المرجع نفسه، ص: 109.
- 20 - ينظر: أنيس إبراهيم، (دت)، الأصوات اللغوية، مكتبة نفضة مصر ومطبعتها، دط، ص: 19 وما بعدها.
- 21 - المرجع نفسه، ص: 21.
- 22 - بشر كمال، (2000)، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، دط، ص: 183 وما بعدها.
- 23 - المرجع نفسه، ص: 174 وما بعدها و ص: 199 وما بعدها.